العَرضة الأخيرة للقرآن الكريم والأحاديث والآثار الواردة فيها جمعاً ودراسةً[1]

د. أسامة عبد الوهاب حمد الحياني
الجامعة العراقية

الملخص

تناول البحث مسألة مهمة وقضية مُشكلة في علوم القرآن الكريم لم تُفرد لها دراسات مستقلة وهي (العرضة الأخيرة للقرآن الكريم والأحاديث والآثار الواردة فيها – جمعا ودراسة) حيث لم تحقق هذه المرويات تحقيقا علميا وفق قواعد التخريج الصحيح عند المحدثين. وهي مبثوثة في كتب الحديث والتفسير والقراءات من دون تمحيص وتحقيق.

وعرض البحث لتفسير العرضة الأخيرة والمصطلحات المرادفة لها. ومعنى حضور وشهود عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما للعرضة الأخيرة، والروايات الواردة فيها ومن حضرها، ودراستها واستنباط دلالاتها، والوقوف على أبرز الإشكالات التي أثيرت حولها كما في قضية اعتراض ابن مسعود على تولية زيد بن ثابت نسخ المصاحف.

ثم خُتم البحث بأقوال العلماء فيمن شهد العرضة الأخيرة والحرف المختار الذي عليه مصاحفنا اليوم.

Abstract:

This research looked into an important issue, the problem in the Quranic Science that has not been independently studied. Namely:

The Final revision of the Quran [by Jibirl AS] and the Hadith and narrations regarding it, in a full study.

As these narrations have not been scientifically investigated in accordance with the rules of their proper graduation by the scholars of Hadith, as [these narrations] are scattered all over the books of Hadith and in the books of Tafsir [explanation of the

---

1 – د. أسامة عبد الوهاب حمد الحياني، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في كلية التربية _ الجامعة العراقية

Quran] without being scrutinised or investigated .

The study explained the Final revision [of the Quran by Jibril AS] and the idioms that are similar to it, the meaning of the presence and the witnessing of Abdullah bin Mas'ud and Zayd bin Thabit, may Allah be pleased with them both, of the final revision [of the Quran by Jibril AS] and the [widely reported] narrations regarding it as well as those who were present during it, studying it and understanding its implications, as well as looking into the most prominent issues regarding it such as the case in which [Abdullah] bin Mas'ud objected that Zayd bin Thabit be given the duty of transcribing the Qur'an.

The study concluded with the sayings of the Scholars who witnessed the Final revision [of the quran], and the chosen characters used in the Quran today.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور القلوب بالإيمان، ويسر حفظ كتابه على بني الإنسان، وتكفل بحفظه من الزيادة والنقصان، والصلاة والسلام على الحبيب العدنان، المبعوث رحمة للثقلين من إنس وجان، ثم الرضى عن أبي بكر وعثمان، وعمر وحذيفة بن اليمان، الذين أُلهموا جمع القرآن، وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد

فقد اعتنت الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم حفظا وتدوينا ودراسة، منذ نزوله وإلى يومنا هذا، وقد بلغ اهتمام المسلمين مبلغا في استظهار القرآن العظيم، فنجد الصغير والكبير والعربي والأعجمي يتلو كتاب الله ويحفظه عن ظهر قلب، فإذا سهى منهم أحد في كلمة أو آية يجد من يفتح عليه ويرشده إلى الصواب، وصدق الله القائل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

وقد مر حفظ القران وتدوينه في الصدور والسطور بمراحل ثلاث:

أولها: بعد تلقي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن عن جبريل، يقوم بتلاوة ما تلقاه على الصحابة رضي الله عنهم إثر نزوله، وكان يحضهم على تعلمه وحفظه وكتابته، فاتخذ النبي –عليه الصلاة والسلام– كُتابا للوحي، فإذا نزل عليه شيء من القرآن بعث بطلبهم

فيكتبوا ما يمليه عليهم، وكان من ألزم الصحابة رضي الله عنهم لكتابة الوحي زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ثانيها: بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى لم يكن القرآن الكريم قد جمع في صحف، وإنما كان مفرقا في الألواح والعسب[2] واللخاف[3] وغيرها مما كان يستعمل في الكتابة، فحدث أمر دفع أبا بكر رضي الله عنه لجمع القرآن الكريم بمشورة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسبب ذلك واقعة اليمامة التي قتل فيها الكثير من القراء كما هو معلوم، وقد أسندت مهمة جمعه لزيد بن ثابت رضي الله عنه.

ثالثها: لما جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه في صحف بقيت هكذا حتى وفاته، ثم انتقلت الصحف إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم انتقلت إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بعد وفاة عمر إلى أن حدث أمر عظيم في خلافة عثمان رضي الله عنه كان أشد أثراً من الجمع الأول، فكان أن أمر عثمان بالصحف التي كانت عند حفصة رضي الله عنها، ثم أمر زيداً وفريقاً من القرشين بنسخه[4]، وأرسل نسخاً منه إلى الأمصار، وحرق ما عدا ذلك، وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على صنيع عثمان رضي الله عنه ولم يعارض في ذلك إلا ابن مسعود رضي الله عنه كما هو معلوم، وكان السبب في نسخ المصاحف في زمن عثمان اختلاف الناس في القراءة، وكان هذا الأمر بمشورة من الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وكان نسخ عثمان رضي الله عنه للمصحف على وفق العرضة الأخيرة للقرآن الكريم والتي حدثت عام وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام

---

[2]– جمع عسيب، أي: جريد النخل، وهو سعف النخل. ينظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلاّم،تح:محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، ط1، 1964م: 156/4.

[3]– جمع لخفة، وهو الحجر الرقيق. ينظر: النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات مجد الدين ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1979م: 244/4.

[4]– عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

مرتين"، وشهد بعض الصحابة هذه العرضة كزيد بن ثابت وابن مسعود –رضي الله عنهما–.

وقد دعاني للكتابة عن "العرضة الأخيرة للقرآن الكريم والأحاديث والآثار الواردة فيها – جمعا ودراسة–" عدة أمور أهمها:

1- إن هذه الأحاديث والآثار الواردة في العرضة الأخيرة لم تجمع وتحلل – بحسب علمنا– في بحث مستقل، ولم تحقق على أسس وقواعد أهل الحديث المعروفة، ليتبين لنا الصحيح منها من السقيم، فهي مبثوثة متناثرة في كتب الحديث وعلوم القرآن والتفسير وغير ذلك.

2- الخلاف بين العلماء فيمن شهد العرضة الأخيرة من الصحابة؟ هل كان ابن مسعود؟ أو زيد بن ثابت؟ أو كلاهما؟ والوقوف على أصح الأقوال في ذلك بحسب الدليل الصحيح والاستنباط الراجح.

3- غموض موضوع العرضة الأخيرة ومن شهدها في أذهان كثير من الباحثين من خريجي الكليات والمعاهد الإسلامية، فنجد الموضوع قد سرد سرداً تاريخياً في كتب علوم القرآن دون تحقيق في المرويات.

4- الوقوف على أصح الأقوال في الحرف المختار الذي عليه مصاحفنا اليوم.

لذلك كله قمت بدراسة الأحاديث والآثار والأقوال الواردة في موضوع العرضة الأخيرة ودلالاتها، ومَن شهدها، وعلى أي حرف كتب مصحف عثمان رضي الله عنه، واقتضت خطة البحث أن يشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: بيان العرضة الأخيرة والأحاديث الواردة فيها، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تفسير العرضة والمصطلحات المرادفة لها.

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في العرضة الأخيرة.

المبحث الثاني: الروايات الواردة فيمن حضر العرضة الأخيرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الروايات الواردة في حضور عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

المطلب الثاني: الروايات الواردة في حضور زيد بن ثابت رضي الله عنه.

المبحث الثالث: أقوال العلماء فيمن شهد العرضة الأخيرة والحرف المختار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقوال أهل العلم فيمن شهد العرضة الأخيرة.

المطلب الثاني: الحرف المختار فيما عليه مصاحف الأمصار.

الخاتمة

المبحث الأول: بيان العرضة الأخيرة والأحاديث الواردة فيها

المطلب الأول: تفسير العرضة والمصطلحات المرادفة لها

لكي نقف على تفسير دقيق للعرضة الأخيرة سنشرع بتعريفها وبالألفاظ ذات الصلة، وسنكتفي بمعنيين اثنين: (المدارسة)، و(التلقين)، وسنقف عند كل مصطلح نبين معناه ونوضحه، ولا سيما إذا علمنا أن الأدلة وردت به، وكما يأتي:

أولاً: العرضة الأخيرة:

العَرْضَةُ لغة: العرضة مأخوذة من عارَض الشيء بالشيء مُعارضةً: أي قابَلَه، وعارَضتُ كتابي بكتابه: أي قابلته، وفلان يعارضني أي يباريني، والمعارَضة: المقابلة[5]، وفي الحديث: "إنّ جبريل – عليه السلام– كان يُعارِضُه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضَه العامَ مرتين"[6]، قال ابن الأثير: "أي كان يُدارسُه جميعَ ما نزل من القرآن"[7].

وأما تعريف **العرضة الأخيرة اصطلاحا:** فهي "عرض الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في عام وفاته مرتين. وسميت كذلك؛ لأنها آخر معارضة بالقرآن بين جبريل والرسول صلى الله عليه وسلم، وهي التي اعتمدت في كتابة المصحف، مع ما صح

---

[5]– ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ: 165/7، مادة (عرض).

[6]– سيأتي تخريجه في موضعه.

[7]– النهاية في غريب الحديث والأثر: 212/3.

وتحقق نزوله ولم ينسخ"[8].

قال الشاطبي في العقيلة:

وَكُلَّ عَامٍ عَلَى جِبْرِيلَ يَعْرِضُهُ وَقِيلَ: آخِرَ عَامٍ عَرْضَتَيْنِ قَرَا[9]

والعرض: "أسلوب من أساليب تحمل القرآن الكريم وتعلمه، وهو يعني القراءة على المعلم وعرض القرآن عليه"[10].

قال الكوثري: "والمعارضة تكون بقراءة هذا مرة واستماع ذاك، ثم قراءة ذاك واستماع هذا، تحقيقًا لِمعنى المشاركة، فتكون القراءة بينهما في كل سنة مرتين، وفي سنة وفاته أربع مرات. فتفرس النبي صلى الله عليه وسلم من تكرير المعارضة في السنة الأخيرة قرب زمن لحوقه بالرفيق الأعلى، فجمع الصحابة رضي الله عنهم فعرض القرآن عليهم آخر عرضة"[11].

وقال ابن كثير في معنى (معارضته) في الحديث: "والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى؛ ليبقى ما بقى، ويذهب ما نسخ توكيدًا واستثباتًا وحفظًا"[12].

ثانياً: المدارسة:

المدارسة لغة: مأخوذة من "دَرَسَ" ودَرَسَ الكتاب للحفظ: كرَّرَ قراءته درساً

---

[8]– معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، عبد العلي المسئول، دار السلام،مصر،ط1، 2007م: ص254.

[9]– منظومة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصاحف، للإمام الشاطبي، تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، ط1، 1422هـ – 2001م: ص3.

[10]– معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي، دار القلم، دمشق، ط1، 2001م: ص192.

[11]– مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر: ص26، والأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988م: ص266.

[12]– فضائل القرآن،لابن كثير، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1416هـ: ص152.

ودراسة، ودَرَّسَ غيره. ودارستُه الكتاب مُدارسة، وتدارسوه حتى حفظوه[13]. وفسر العلماء معنى "عرض القرآن" بمدارسة القرآن.

واصطلاحا:المدارسة معناها: العرض للحفظ، فقد كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر القرآن من كل سنة فيدارسه فيما نزل عليه حتى وقت المدارسة، يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الصحيح قال: "وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن"[14].

فلفظ المدارسة يدل على أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر، وفي رواية: يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وفي رواية: يَعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن[15]. أي: جبريل –عليه السلام–، فالمتأمل لهاتين الروايتين يجدهما تصرحان بأن كلا منها أخذ عن الآخر –والله تعالى أعلم–.

ثالثاً: التلقين:

التلقين لغة: من لقن، قال ابن فارس: "اللام والقاف والنون كلمةٌ صحيحة تدلُّ على أخذ علم وفهمه"[16]. وقال ابن فارس: "اللَّقْنُ مصدر لَقِنَ الشيء يَلْقَنُه لقناً وكذلك الكلام، وتلقَّنه: فَهِمه، ولَقَّنَه إياه: فهَّمه، وتلقَّنته: أخذته لقانية، وقد لقَّنني فلانٌ كلاما

13- ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م: 284/1.

14- صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ: 8/1، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ برقم (6)، ومسند أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م: 375/4 برقم (2616)، وسنن النسائي،تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م: 92/3 برقم (2416).

15- أخرجه البخاري في صحيحه: 1911/4، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم برقم (4711)، ومسلم في صحيحه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي،بيروت: 1803/4، كتاب الفضائل، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة برقم (2308).

16- مقاييس اللغة، لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م: 260/5 مادة (لقن).

تلقينا: أي فهَّمني منه ما لم أفهم، والتَّلقين كالتَّفهيم"[17].

والتلقين اصطلاحا: هو تعليم الناس القرآن ورواياته مشافهة، يقال: لقنه القرآن فتلقنه أي علمه فأخذه[18].

والتلقين: أسلوب من أساليب تحمّل القرآن الكريم ودراسته وحفظه. وهو يعني سماع القرآن الكريم من المقرئ المعلم بلفظه وقراءته.

ويمكننا الاستدلال للتلقين بتلقين جبريل القرآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان ينزل جبريل بالقرآن فيلقنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿**لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَبِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: 16 – 19].

وقد أخذ كثير من الصحابة القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقينا، فابن مسعود يقول: أخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة[19]. فمنهم من لقنه النبي الكريم مباشرة، ومنهم من تلقى القرآن من خلال استماعه للقرآن في الصلاة وهكذا[20].

وأفضل أسلوب لمدارسة القرآن الكريم وضبطه الجمع بين أسلوبي التلقين والعرض. وما أحرى حفاظ القرآن الكريم وطلاب العلم أن ينهجوا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل في معارضة القرآن الكريم، فيعرضون القرآن الكريم عرضا متبادلا بينهم[21].

المطلب الثاني: الأحاديث والآثار الواردة في العرضة الأخيرة:

لاشك أنَّ الروايات الواردة في العرضة الأخيرة للقرآن الكريم وما يتعلق بها كثيرة،

---

[17]– لسان العرب: 390/13 مادة (لقن).

[18]– معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ص149.

[19]– صحيح البخاري: 186/6، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برقم (5000)، ومسلم في صحيحه: 1912/4، فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما برقم (2462).

[20]– معجم علوم القرآن: ص105.

[21]– المصدر نفسه: ص193.

وهي موزعة بين كتب الحديث والتفسير والقراءات، لذا سنقوم بجمع الروايات الحديثية والأثار الواردة في عرض القرآن ونخرجها مع إيراد الحكم عليها فيما خلا الصحيحين، ثم نعرض بعد ذلك لما ورد في كتب القراءات وعلوم القرآن الأخرى وكما يأتي:

أولا: الأحاديث الواردة في عرض جبريل –عليه السلام– القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على حفظه واستظهاره، حتى بلغ منه العجلة في ترديده وعرضه مع جبريل –عليه السلام– خشية فوات كلمة أو حرف إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَبِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]، قال ابن كثير: "وفي هذا تعليم من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملَك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملَك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملَك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الأكمل الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه"[22].

وقد وردت أحاديث تثبت عرض القرآن الكريم مع جبريل –عليه السلام– في كل عام مرة في شهر رمضان، وفي العام الذي قبض فيه عرضه مرتين، فأثبت ما أثبته الله ونسخ ما نسخه، وسنورد هنا الحديث الصحيح والذي يتحدث عن مطلق العرض دون تحديد العرضتين الأخيرتين:

حديث ابن عباس:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن

---

[22]– تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م: 278/8.

جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة"[23]. وروى البخاري في صحيحه أيضا نحو هذا الحديث بلفظ: "وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن"[24].

دلالة الحديث:

أثبت هذا الحديث بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعارض القرآن مع جبريل –عليه السلام– كل سنة في كل ليلة من ليالي شهر رمضان، وهو أشبه بالمراجعة لما نزل من القرآن في ذلك العام لكتاب الله تعالى.

وقوله في الحديث "فيدارسه القرآن"، يفيد حصولها من الجانبين وحديث ابن عباس عند البخاري في كتاب فضائل القرآن يفيد حصولها من جانب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله فيه: "يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن"، ويدل لحصولها من جانب جبريل حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أورده البخاري في كتاب فضائل القرآن عقب حديث ابن عباس حيث قال رضي الله عنه: كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه[25].

وفي الحديث إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان؛ لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت من حديث ابن عباس، فكان جبريل يتعاهده في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين، كما ثبت في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها.

---

[23]– أخرجه البخاري في صحيحه: 1911/4، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم برقم (4711)، ومسلم في صحيحه: 1803/4، كتاب الفضائل، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة برقم (2308).

[24]– صحيح البخاري: 8/1، كتاب بدء الوحي، باب كان بدء الوحيإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ برقم (6)، ومسند أحمد: 375/4 برقم (2616)، وسنن النسائي: 92/3 برقم (2416).

[25]– سيأتي تخريج الحديث في موضعه.

وقيل: الحكمة فيه: "أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وهو أعم من الصدقة، وأيضا فرمضان موسم الخيرات؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره فكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر متابعة سنة الله في عباده فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به والنازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود"[26].

وقال ابن حجر: ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء، فيقرأ كل ليلة جزءا في جزء من الليلة، والسبب في ذلك ما كان يشتغل به في كل ليلة من سوى ذلك من تهجد بالصلاة ومن راحة بدن ومن تعاهد أهل، ولعله كان يعيد ذلك الجزء مراراً بحسب تعدد الحروف المأذون في قراءتها، ولتستوعب بركة القرآن جميع الشهر، ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة وفي السنة الأخيرة عرضه مرتين لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده في بقية الليالي. وقد أخرج أبو عبيد من طريق داود بن أبي هند[27]، قال: "قلت للشعبي: قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، أما نزل عليه القرآن في سائر السنة إلا في شهر رمضان؟ قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض محمدا صلى الله عليه وسلم بما ينزل في سائر السنة في شهر رمضان"[28]، وفي هذا إشارة إلى الحكمة في التقسيط لتفصيل ما

---

[26]- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة،بيروت، 1379هـ: 31/1.

[27]- هو أبو بكر داود بن أبي هند دينار بن عذافر الخراساني البصري، واختلف في سنة وفاته (ت139هـ) أو (ت140هـ)، حافظ ثقة، وثقه النسائي ويحي بن معين وغيرهما. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م: 376/6 – 377.

[28]- فضائل القرآن، للقاسم بن سلام: ص368. وزاد ابن الضريس والثعلبي (فيحكم ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء)، ينظر: فضائل القرآن، لابن الضريس، تح: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق– سورية، ط1، 1987م: ص75، وتفسير الثعلبي، تح أبو محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م: 68/2. وذكر البغوي أن ابن أبي شيبة أخرجه. ينظر: تفسير البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 1420هـ: 217/1. وصحح هذا الأثر ابن حجر،

ذكره من المحكم والمنسوخ، ويؤيده أيضا الحديث الذي جاء بلفظ "فيدارسه القرآن" فإن ظاهره أن كلا منهما كان يقرأ على الآخر وهي موافقة لقوله: "يعارضه" فيستدعي ذلك زمانا زائدا على ما لو قرأ الواحد[29].

وفي الحديث إطلاق القرآن على بعضه وعلى معظمه؛ لأن أول رمضان من بعد البعثة لم يكن نزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك كل رمضان بعده إلى رمضان الأخير، فكان قد نزل كله إلا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور، وكان في سنة عشر إلى أن مات النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ومما نزل في تلك المدة قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾ [المائدة: ٣]، فإنها نزلت يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم بها بالاتفاق، وكأن الذي نزل في تلك الأيام لما كان قليلا بالنسبة لما تقدم اغتفر أمر معارضته فيستفاد من ذلك أن القرآن يطلق على البعض مجازا[30].

ثانيا: الأحاديث الواردة في معارضة القرآن الكريم مع جبريل مرتين في العام الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه)[31].

فقال: "والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح" فتح الباري: 5/9. ولم أعثر عليه في المصنف ولا غيره.

[29]- فتح الباري: 44/9.

[30]- المصدر نفسه: 44/9.

[31]- صحيح البخاري: 1911/4، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم برقم (4712)، وسنن ابن ماجة: 650/2، كتاب الصيام، باب ما جاء في الاعتكاف برقم (1769)، وسنن النسائي الكبرى: 248/7، كتاب فضائل القرآن، باب عرض جبريل القرآن برقم (7938)، وأحمد في مسنده من غير زيادة "وكان يعتكف كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه": 399/2 برقم (9179).

2- قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة، رضي الله عنها، أسر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)[32].

3- أخرج سعيد بن منصور في سننه، وابن الأنباري[33] وابن أشتة[34] في المصاحف عن ابن سيرين قال: كان جبريل يعارض النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كل سنة في شهر رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين، فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة[35].

---

[32]- أخرجه البخاري في صحيحه: 1911/4، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث الباب، ومسلم في صحيحه: 1904/4، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم،باب من فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام برقم (2450).

[33]- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن أبو بكر بن الأنباري, البغدادي النحوي الأديب (ت328هـ)، من مصنفاته: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، والزاهر في اللغة وغيرهما، ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، بنشره لأول مرة عام 1351هـج. برجستراسر: 230/2 – 231.

[34]- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة الأصبهاني أستاذ كبير وإمام شهير، ونحوي محقق، عالم بالقراءات، سكن مصر وتوفي بها، من مصنفاته: المحبر والمفيد في شواذ القراءات، والمصاحف. توفي سنة (360هـ)، قال السيوطي: قلت: رأيت له كتاب المصاحف، ونقلت منه أشياء في كتاب الإتقان. ينظر في ترجمته: غاية النهاية: 184/2.

[35]- الحديث مرسل ضعيف، وعلته الإرسال. ونقل عن ابن سيرين قوله: "فيرجى" بدل "فيرون". ينظر: التفسير من سنن سعيد ابن منصور، تح: د.سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1997م: 59/1 برقم (57)، وفضائل القرآن، لابن سلام: ص357، ونقله السيوطي في الدر المنثور عن ابن أشتة. ينظر: الدر المنثور، نشر دار الفكر، بيروت: 259/1، وأخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق ابن عون، ينظر: الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م: 195/2، وابن شبَّة في تاريخ المدينة من طريق هشام عن محمد بن سيرين، ينظر: تاريخ المدينة، تح: فهيم محمد شلتوت، جدة – المملكة العربية السعودية، 1399 هـ: 993/3، ورواه الدارقطني عن ابن سيرين عن أنس بن مالك وأعله بالتفرد فقال: حديث غريب من حديث عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن أنس تفرد به يحيى بن خليف، ينظر: أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني، لابن القيسراني، تح: محمود محمد محمود حسن نصار والسيد يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م: 233/2 برقم (1236)، والأحاديث المختارة، ضياء

دلالة الأحاديث:

دلت الأحاديث الصحيحة دلالة واضحة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارض القرآن مع جبريل مرتين في العام الذي توفي فيه، وهذه المعارضة سميت بالعرضة الأخيرة للقرآن الكريم حيث أُثبت ما أُثبت ونُسخ ما نُسخ، ودلالة العرضتين في رمضانه الأخير صلى الله عليه وسلم تعني قرب انتهاء نزول القرآن الكريم واكتماله، وقرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فمهمته تنتهي بانتهاء نزول القرآن وتبليغه للناس، وهذه معنى قوله:" ولا أراه إلا حضر أجلي"؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره –عليه السلام–، على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ثم إن عثمان، رضي الله عنه، جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة، وخص بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن[36].

قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون السر في تكرار العرض أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان ثم فتر الوحي ثم تتابع فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة مرتين ليستوي عدد السنين والعرض[37].

قال القسطلاني في شرحه لهذا الحديث: " فكأن السر في عرضه مرتين في سنة الوفاة استقراره على ما كتب في المصحف العثماني والاقتصار عليه وترك ما عداه[38].

ونقل الهروي عن الطيبي قوله: "دل ظاهر الحديث – حديث أبي هريرة– على أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المعروض عليه في العام الذي توفاه الله فيه، وفي غيره، وقيل: يحمل هذا الحديث على القلب ليوافق هذا المروي حديث ابن عباس رضي الله عنهم[39].

الدين المقدسي، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2000م: 162/7.

[36]– ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 51/1.

[37]– فتح الباري: 46/9.

[38]– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ: 456/7.

[39]– يقصد به حديث "يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن"، ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،نشر دار الفكر،بيروت – لبنان،ط1، 1422هـ–2002م: 1447/4 برقم (2099).

والأظهر في الجمع بين الحديثين: أنه كانت القراءة معارضة ومدارسة بينه وبين جبريل – عليهما الصلاة والسلام– فمرة هذا يقرأ ومرة هذا يقرأ، وهو يحتمل احتمالين:

أحدهما: وهو الأظهر: أن جبريل كان يقرأ أولا بعضا من القرآن ثم يعيده بعينه صلى الله عليه وسلم احتياطا للحفظ، واعتمادا للضبط.

وثانيهما: أن أحدهما يقرأ عشرا مثلا والآخر كذلك، وهو المدارسة المتعارفة بين القراء، ويؤيد ما قلنا أنه ورد في بعض الروايات في النهاية[40] كان يعارضه القرآن، أي يدارسه من المعارضة المقابلة، ومنه عارضت الكتاب بالكتاب، أي قابلته به، والله أعلم"[41].

وأما رواية ابن سيرين فمعناها لا يخرج عما في الصحيحين من الأحاديث التي أوردناها في أول هذا المبحث، وإنما ذكرناها هنا لسببين:

الأول: إن إيرادها جاء من قبيل جمع الروايات الواردة في العرضتين الأخيرتين.

والثاني: إن فيها معنى زائدا عما نقلناه في الروايات السابقة وهو: أن القراءة التي جمع عثمان الناس عليها كتبت على العرضة الأخيرة التي عارضها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل مرتين في عام وفاته، وهذا مستفاد من قول ابن سيرين: "فيرجى أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة"، والله أعلم.

المبحث الثاني: الروايات الواردة فيمن شهد العرضة الأخيرة

وأما معنى شهود العرضة الأخيرة أو حضور العرضة الأخيرة فلم أقف على نص أو قول يوضح ذلك، والذي يفهم من الأحاديث والآثار الواردة فيها: أن معناها تلقى القرآن الكريم مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انجلاء الوحي. ولا يفهم منها أن ابن مسعود أو زيد بن ثابت كان ثالثا مع النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل، ولا يفهم منها سماع القرآن الكريم المطلق من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن كثيرا من الصحابة سمعوا القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك أقول: إن ما يميز شهود العرضة

---

[40]– يقصد به كتاب: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، وقد نقلنا كلامه في مبحث التعريفات في مستهل البحث.

[41]– مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 1448/4.

هو تلقي القرآن وشهوده بعد انجلاء الوحي مباشرة، والله تعالى أعلم.

المطلب الأول: الروايات الواردة في ابن مسعود:

1- عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: أي القراءتين تعدون أول؟ قالوا: قراءة عبد الله، قال: لا، بل هي الآخرة، "كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه، عرض عليه مرتين، فشهده عبد الله، فعلم ما نسخ منه وما بدل"[42].

---

[42]- روي هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما من ثلاث طرق:

الأول: طريق أبي ظبيان يرويه عنه الأعمش: أخرجه سعيد بن منصور في كتابه التفسير من سنن سعيد ابن منصور: 240/1 برقم (58)، وأحمد في مسنده: 395/5 برقم (3422)، قال: حدثنا يعلى ومحمد. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ويعلى ومحمد: هما ابنا عبيد بن أبي أمية الكوفي الطنافسي، وأبو ظبيان: هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبي، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض،ط1، 1409هـ: 154/6 برقم (30288)، والبخاري في خلق أفعال العباد، تح: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض: 87/1، وغيرهم من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان بنحو هذا اللفظ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق،ط1، 1984م: 435/4 برقم (2562)، من طريق جرير عن الأعمش، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994م: 138/8 برقم (3120)، من طريق شريك ووكيع كلاهما عن الأعمش، والنسائي: 353/7 برقم (8201)، من طريق سليمان بن طرخان التيمي عن الأعمش. وقال الدارقطني: تفرد به المعتمر عن أبيه عن الأعمش. ينظر: أطراف الغرائب: 342/3، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح. فتح الباري: 45/9. والحديث بهذا الطريق صحيح؛ لأن إسناد رجاله ثقات. ومن رجال هذا السند: الأعمش وعنه سليمان التيمي، وكذا أبي معاوية الضرير. ينظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، 1952م: 146/4 – 147، 124- 125، 247/7، وتقريب التهذيب، لابن حجر، تح: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ - 1986م: 254/1، 252 ، 475 برقم (2575)، و(2615)، (5841). والله أعلم.

الثاني: طريق مجاهد يرويه عنه إبراهيم بن مهاجر: أخرجه أحمد في مسنده: 295/4 برقم (2494)، والبزار في مسنده، تح: مجموعة من المحققين، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، 2009م: 181/11 برقم (4923)، وأعله بالتفرد، فقال: لا نعلمه يروى عن ابن عباس بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد. والطحاوي في مشكل الآثار: 264/1 برقم (287)، والحاكم في المستدرك، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1990م: 250/2 برقم (2903)، جميعهم من طريق إسرائيل

2- عن أيوب، عن محمد ابن سيرين، قال: نُبئت أن ابن مسعود كان يقول: "لو أعلم أحداً تبلغنيه الإبل أحدث عهدا بالعرضة الآخرة مني لأتيته أو لتكلفت أن آتيه"[43].

بن يوسف عن إبراهيم بن مهاجر عن ابن مجاهد بلفظ: "أي القراءتين كانت أخيرا قراءة عبد الله أو قراءة زيد؟ قال: قلنا قراءة زيد قال: "لا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يعرض القرآن على جبريل كل عام مرة، فلما كان في العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة قراءة عبد الله". والحديث بهذا اللفظ ضعيف؛ لأن في سنده إبراهيم بن مهاجر صدوق إلا إنه لين الحديث والحفظ، قال يحيى بن سعيد القطان: لم يكن بقوي. وقال النسائي: ليس بالقوي في الحديث وقال في موضع آخر: ليس به بأس، وقال ابن عدي: يكتب حديثه في الضعفاء. ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م: 212/2 – 213، وميزان الاعتدال، للذهبي، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1963م: 67/1 – 68.

الثالث: طريق زر بن حبيش يرويه عنه عاصم: أخرجه الطبراني في الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2: 103/12 برقم (12602) من طريق أبو الزنباع روح بن الفرج عن سفيان بن بشر عن شريك عن عاصم عن زر بلفظ: "قال: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الآخرة قال: "فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل – عليه السلام – في كل عام مرة، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، فشهد عبد الله – يعني ابن مسعود – ما نسخ منه وما بدل، فقراءة عبد الله الآخرة"، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة بسنده عن الطبراني: 43/10 برقم (39). ورواه ابن الجزري بسنده وصححه في النشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]: 32/1. والحديث بهذا الطريق ضعيف للين شريك بن عبد الله النخعي (ت178هـ) في الحديث، وهو صدوق يخطئ كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلا فاضلا، عابداً شديداً على أهل البدع، ينظر: تقريب التهذيب: 266/1 برقم (2787): قال ابن أبي حاتم "قلت لأبي زرعة شريك يحتج بحديثه؟ قال: كان كثير الخطأ صاحب حديث وهو يغلط أحيانا. ينظر: الضعفاء لأبي زرعة، دراسة وتحقيق:سعدي بن مهدي الهاشمي، رسالة علمية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1982م: 810/3 برقم (109). قال العقيلي: وضعف يحي حديثه جدا، قال يحي: أتيته بالكوفة فأملى علي، فإذا هو لا يدري، يعني شريك. ينظر: الضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، 1984م: 193/2 برقم (718).

[43]– الحديث بهذا اللفظ ضعيف لإبهام من أخذ عنه محمد بن سيرين، فطريقه عن ابن سيرين عن راو مبهم عن ابن مسعود. ينظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور: 61/1 برقم (59)، وفضائل القرآن، للقاسم بن سلام: ص102، وفضائل القرآن، للمستغفري، تح: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم،ط1، 2008م: ص358، وفتح الباري، لابن حجر: 51/9. ونسب السيوطي إخراجه لابن

3- أخرج ابن الضُّرَيس عن ابن مسعود قال: كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه بالقرآن في آخر سنة مرتين فأخذته من النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العام[44].

4- أخرج البخاري في صحيحه عن شقيق بن سلمة، قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: "والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم"، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادا يقول غير ذلك[45].

5- وفي مسند الإمام أحمد عن خمير بن مالك، قال: قال عبد الله: " قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، وزيدُ بن ثابت له ذُؤَابة[46] في الكُتّاب"[47]. وفي رواية قال الزهري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن مسعود، كره

الأنباري في كتابه المصاحف بلفظ: " لو أعلم أحدا أحدث بالعرضة الأخيرة مني لرحلت إليه ". ينظر: الدر المنثور: 259/1.

[44]- الحديث ضعيف، فقد أخرجه ابن الضُّرَيس في فضائل القرآن بألفاظ متقاربة: ص129، وفيه راو لم يُسمَّ، قال: حدثني رجل من أصحاب عبد الله ولم يسمه، وأخرجه أحمد مطولا بلفظ: "....وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعارض بالقرآن في كل رمضان، وإني عرضت في العام الذي قبض فيه مرتين..."، مسند أحمد: 395/6 برقم (3845). والحديث ضعيف أيضا؛ لأن فيه راو مجهول " قال: حدثنا رجل، من همدان – من أصحاب عبد الله، وما سماه لنا – ". ورواه الطبراني في المعجم الكبير: 97/10 برقم (10076) بزيادة"فمن قرأ على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها؛ فإنه من جحد بحرف منه جحد به كله". وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن الأنباري: 259/1.

[45]- صحيح البخاري: 186/6، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برقم (5000)، ومسلم في صحيحه: 1912/4،فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما برقم (2462).

[46]- الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: 151/2.

[47]- مسند أحمد: 225/6 برقم (3697). قال شعيب الأرناؤوط: هذا إسناد ضعيف، خمير بن مالك – ويقال: خمر–، لم يرو عنه غير أبي إسحاق –وهو السبيعي–، ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل": 391/3.

لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال: "يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر" – يريد زيد بن ثابت –[48]، وفي رواية عن أبي وائل قال: خطبنا ابن مسعود فقال: "كيف تأمروني أقرأ على قراءة زيد بن ثابت بعدما قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، وإن زيداً مع الغلمان له ذؤابتان"[49].

6- عن أبي وائل قال: "خطبنا عبد الله بن مسعود على المنبر فقال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة غلوا مصاحفكم وكيف تأمرونني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله"[50].

فقول ابن مسعود: وقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله، فإن كلمة (مثله) فيها اعتراف منه بأن زيد بن ثابت قرأ مثله من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن ما انفرد ابن مسعود به تعد روايته آحادية. ومعلوم أن رواية الآحاد لا تكفي في ثبوت القرآنية؛ لذلك لم يوافق الصحابة على ما انفرد به ابن مسعود بخلاف مصحف عثمان فقد وافقه عدد التواتر وظفر بإجماع الأمة ولم يكتب فيه إلا ما استقر في العرضة

---

[48]– هذا أثر مرسل ضعيف، لأن عبيد الله بن عتبة بن مسعود لم يسمع من عم أبيه عبد الله بن مسعود كذا قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: 530/2 برقم (975)، والرواية أخرجها الترمذي في سننه، تح: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م: 135/5برقم (3104)، وأبي يعلى في مسنده: 64/1 برقم (63)، قال حسين سليم أسد:إسناده منقطع.

[49]– أخرجه أحمد في المسند: 23/7 برقم (3906)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في السنن الكبرى: 321/8 برقم (9279)، عن أبي شهاب عن الأعمش عن أبي وائل وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وأبو شهاب اسمه عبد ربه بن نافع الكناني الخياط. والطبراني في المعجم الكبير: 72/9 برقم (8428)، وابن حبان في صحيحه، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م: 39/15 برقم (7064).

[50]– نسب هذه الرواية ابن حجر إلى النسائي وابن عوانة وابن أبي داود، ولم أعثر عليها بهذا اللفظ إلا في فتح الباري، والصحيح أن جزءًا من الرواية موجود في النسائي وغيره بلفظ مختلف من غير لفظ "مثله". والحديث لا يصح بهذا اللفظ. ينظر: فتح الباري، 48/9. وأما لفظ الحديث الصحيح فينظر تخريج الحديث السابق.

الأخيرة[51]. ففي هذه الرواية دليل من ابن مسعود على أن زيداً قرأ مثله من في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أقول: هذه الرواية لم نقف عليها صحيحة ولا مسندة بهذا اللفظ، فقد جاءت الروايات الصحيحة التي تقول عن ابن مسعود: "... وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان..."[52].

دلالة المرويات:

دلت المرويات والأثار الصحيحة على أن ابن مسعود شهد العرضة الأخيرة للقرآن، فعلم ما نسخ وما بدل منه. وأصح هذه الروايات، ما صرح به ابن عباس فيما يرويه عنه أبي ظبيان من طريق الأعمش عندما سأله رضي الله عنه أي القراءة تعدون أول؟ قالوا: قراءة عبد الله، قال: لا، بل هي الآخرة، "كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه، عرض عليه مرتين، فشهده عبد الله، فعلم ما نسخ منه وما بدل".

فكانت هذه العرضة الأخيرة بمثابة المراجعة النهائية للكتاب الحكيم، عرض فيها القرآن الكريم مرتين، فأُثبِت فيه جميع الأوجه الثابتة غير المنسوخة، وترك ما نُسِخ منه، فما ثبت في هذه العرضة هو القرآن المحكم المعجز المتَعَبَّد بتلاوته إلى يوم القيامة، وما لم يثبت فإما أن يكون قرآنًا منسوخًا، وإما أنه ليس بقرآن، وكلاهما ليس له حكم القرآن من التعبد والإعجاز.

قال ابن الجزري: ولا شك أن القرآن نسخ منه وغير فيه في العرضة الأخيرة فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة، واستدل ابن الجزري برواية رواها بسنده وصححها عن زر بن حبيش قال: "قال لي ابن عباس أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الآخرة،قال: "فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل – عليه السلام

---

[51]– مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3: 477/1.

[52]– سبق تخريجه.

– في كل عام مرة، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، فشهد عبد الله – يعني ابن مسعود – ما نسخ منه وما بدل، فقراءة عبد الله الآخرة"[53].

ثم استنبط ابن الجزري من هذه الرواية أن الصحابة رضي الله عنهم كتبوا المصحف على ما استقر في العرضة الأخيرة، وما استقر في غيرها مما لم ينسخ، فقال: وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقر في العرضة الأخيرة، وما تحققوا صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم مما لم ينسخ، وإن لم تكن داخلة في العرضة الأخيرة; ولذلك اختلفت المصاحف بعض اختلاف، إذ لو كانت العرضة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة ونقص وغير ذلك وتركوا ما سوى ذلك; ولذلك لم يختلف عليهم اثنان[54].

أقول: إن ربط ابن الجزري بين العرضة الأخيرة والاختلاف في المصاحف زيادة ونقصا، فيه نظر! فما علاقة العرضة الأخيرة بالزيادة والنقص؟ فتوجيه الاختلاف بين المصاحف جاء من قبيل الأحرف السبعة؛ لأن الرواية بها تواترت وثبتت.

وتابع ابن الجزري قائلا: إن القراءات التي تواترت عندنا عن عثمان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأُبي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم لم يكن بينهم فيها إلا الخلاف اليسير المحفوظ بين القراء، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين، فإن الصحابة رضي الله عنهم تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعا، ولم يكونوا ليسقطوا شيئا من

---

[53]– سبق تخريج الرواية وهي صحيحة من طريق آخر. ينظر: النشر: 32/1.

[54]– ينظر: النشر: 32/1 – 33.

القرآن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم ولا يمنعوا من القراءة به[55].

أقول: إن تجريد المصاحف من النقط والشكل في زمن كتابة المصاحف ثابت وصحيح إلا أن الخلاف الإقرائي بين القراء ليس مبنيا كله على النقط والشكل بل جزء يسير منه. ثم إن الخلاف بين بعض القراء لم يكن يسيرا كما قال ابن الجزري، فإذا ما قارنا بين عاصم وحمزة والكسائي وكلهم كوفيون وقراءتهم ترجع إلى ابن مسعود وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم نجد أن البون شاسع بينهم في الأصول والفرش.

وهناك روايات أخرى قد يفهم من خلالها أن ابن مسعود شهد العرضة الأخيرة، وهي:

رواية اعتراضه الشديد على حرق مصحفه، ففي الحديث عن عمرو بن شراحيل قال: "أتى علي رجل، وأنا أصلي، فقال: ثكلتك أمك ألا أراك تصلي وقد أمر بكتاب الله أن يمزق؟. قال: فتجوزت في صلاتي، وكنت لا أحبس، فدخلت الدار فلم أحبس، ورقيت فلم أحبس، فإذا أنا بالأشعري وإذا حذيفة وابن مسعود يتقاولان، وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع إليهم المصحف. فقال: والله لا أدفعه. فقال: ادفعه إليهم، فإنهم لا يألون أمة محمد إلا خيرا. فقال: والله لا أدفعه إليهم؛ أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة وأدفعه إليهم؟ والله لا أدفعه إليهم"[56].

---

[55]- ينظر: المصدر نفسه: 32/1 – 33.

[56]- إسناده صحيح، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: ص285، والشاشي في المسند، تح: محفوظ الرحم نزين الله، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط1، 1410هـ: 230/2 برقم (801)، والطبراني في المعجم الكبير: 75/9 برقم (8438)، والحاكم في المستدرك: 247/2 برقم (2896). وذكر البخاري هذا الأثر في تاريخه مختصرا ونصه عن أشهل بن حاتم: "حدثنا ابن عون عن عمر بن قيس الماصر عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل – أو – شراحيل: دخلت وثم حذيفة والأشعري فقال ابن مسعود: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة" ولم يذكر قصة دفع المصحف. وقال البخاري: "وقال بعضهم: عمرو بن قيس، ولا يصح". ينظر: التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان: 186/6برقم (2121). وبعد تتبعنا لسند هذا الأثر أقول: إسناد رجاله ثقات، فقد وثق علماء الحديث رجال سنده (عبد الله بن عون بن أرطبان، وعمر بن قيس الماصر، وعمرو بن شرحبيل)، واختلف في عمر بن قيس الماصر، والصحيح أنه ثقة. ينظر: الجرح والتعديل، لابن

والرواية الأخرى ما ورد من غمز ابن مسعود لزيد بن ثابت حينما قال: "كيف تأمروني أقرأ على قراءة زيد بن ثابت بعدما قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة، وإن زيداً مع الغلمان له ذؤابتان"[57].

أقول: رواية عمرو بن شراحيل ليس فيها دليل على شهود ابن مسعود للعرضة الأخيرة، ولا يفهم منها أن ثمة خلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحف الإمام، إنما غاية ما يفهم منها هو رفض ابن مسعود لحرق المصحف، بل قد يفهم منها أن ابن مسعود كتب في مصحفه بضعا وسبعين سورة لا غير ولم يكتب القرآن كاملا.

وأما الروايات الواردة في غمز زيد فيفهم منها اعتراضه الشديد على اختيار زيد وليس لعدم شهود زيد العرضة الأخيرة وإنما على تقديمه عليه وهو أحق منه وأسبق منه في أخذ القرآن فقد أخذه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن مسعود.

قال ابن عساكر: "وإنما شق ذلك على ابن مسعود لأنه عدل عنه مع فضله وسنه وفوض ذلك إلى من هو بمنزلة ابنه، وإنما ولى عثمان زيد بن ثابت لحضوره وغيبة عبد الله؛ ولأنه كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الصحف في عهد أبي بكر"[58].

قال المقريزي: "وكان امتناع عبد الله من دفع مصحفه إشفاقاً على تغيير يدخله، يخالف ما قد رواه وأتقنه، وكان هذا الذي حاذره زائلا ساقطا مأمونا منه، فبعد ذلك حين وقف على إتقان المصحفين، واجتماع الروايتين، قرأ وأقرأ بمثل قراءة المسلمين، على أنه قد

أبي حاتم: 238/6 برقم (1320)، و130/5-131برقم (605)، و129/6 برقم (702)، والثقات، لابن حبان، تح: محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، 1973م: 168/5 برقم (4402)، والتقريب: 422 برقم (5048)، وص317 برقم (3519).

[57]- سبق تخريجه.

[58]- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م: 140/33، وكنز العمال، للمتقي الهندي، تح: بكر يحياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1981م: 609/2 برقم (4875).

كان آخر من تولى زيد بن ثابت جمع المصحف"[59].

قال الحافظ في الفتح: "وكأن مراد ابن مسعود بغل المصاحف كتمها وإخفاؤها لئلا تخرج فتعدم، وكأن ابن مسعود رأى خلاف ما رأى عثمان ومن وافقه في الاقتصار على قراءة واحدة وإلغاء ما عدا ذلك، أو كان لا ينكر الاقتصار لما في عدمه من الاختلاف، بل كان يريد أن تكون قراءته هي التي يعول عليها دون غيرها لما له من المزية في ذلك مما ليس لغيره، كما يؤخذ ذلك من ظاهر كلامه، فلما فاته ذلك ورأى أن الاقتصار على قراءة زيد ترجيح بغير مرجح عنده، اختار استمرار القراءة على ما كانت عليه"[60].

ومع كل ما تقدم من الآثار والمرويات، فهي لا تعطي أولوية لابن مسعود على زيد في قضية نسخ المصاحف في خلافة عثمان، ففي الصحيحين عن أنس قال: "جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعةٌ كلَّهم من الأنصار: معاذ بن جبل وأبيٌّ بنُ كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد"[61]. وفي صحيح البخاري قال: "مات النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ولم يجمعْ القرآنَ غيرُ أربعةٍ: أبو الدَّرداء ومعاذُ بن جبل وزيدُ بنُ ثابتٍ وأبو زيد"[62]. فمات معاذ وأبو زيد في خلافة عمر رضي الله عنه، فوقع الاختيار على زيد بن ثابت في خلافة عثمان وأُشرك معه في هذه المهمة أبي بن كعب زيادة على القرشيين الثلاثة، وبعض هؤلاء أحفظ من ابن مسعود؛ لأنه كما هو معلوم قد صرح كما في الصحيحين أنه لم يأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بضعاً وسبعين سورة، ولا يُعرف أنه جمع القرآن قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وروي أنه أكمل الباقي على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فمن كان أحفظ وأوعى للقرآن أولى بالتقديم، قال مكي: "ولم يختلف في أن

---

[59]- إمتاع الأسماع، للمقريزي، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1999م: 327/4.

[60]- فتح الباري: 49/9.

[61]- صحيح البخاري: 37/5 برقم (3810)، وصحيح مسلم: 1914/4 برقم (2465).

[62]- صحيح البخاري: 187/6 برقم (5004).

ابن مسعود لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم جمع القرآن كله"[63].

قال أبو بكر الأنباري: "ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان، على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله بن مسعود أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه كله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ، والذي حفظه منه عبد الله في حياة رسول الله نيف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ، أولى بجمع المصحف، وأحق بالإيثار والاختيار، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود؛ لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا لتقدمه عليه؛ لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيرا منهما، ولا مساويا لهما في الفضائل والمناقب"[64].

وتابع أبو بكر الأنباري قائلا: وما بدا من ابن مسعود في إنكاره لصنيع عثمان في اختيار زيد إنما هو ناتج عن غضب فلا يعمل به ولا يعول عليه، ولا يشك أحد في رجوع ابن مسعود بعد زوال غضبه عن إنكاره ورضاه لاختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم[65].

وذهب المقريزي إلى أن سبب تقدم زيد يعود إلى أمرين:

الأول: هو كتابة القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، واستنبط ذلك من قول زيد بن ثابت: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"[66]، فإذا

---

[63]- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر: ص95.

[64]- نقله القرطبي عن الأنباري في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م: 53/1.

[65]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 53/1.

[66]- سنن الترمذي: 228/6 برقم (3954)، والمستدرك على الصحيحين: 249/2 برقم (2900). ومسند أحمد: 484/35 برقم (21608)، قال الشيخ شعيب: "إسناده حسن" من أجل يحيى بن أيوب، وهو الغافقي. ومعنى التأليف: الترتيب؛ لأنه يقال في اللغة: ألّفت الشيء تأليفا، إذا وصلت بعضه

قُدِّم زيد في هذا ورسول الله حي، كان أحق الناس بالجمع بعد وفاته.

الثاني: أن زيدا كان أحفظ وأوعى للقرآن من ابن مسعود قال المقريزي: وما اختلف أهل العلم في أن زيدا ضم القرآن وحفظه في حياة رسول الله، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وعبد الله بن مسعود غير حافظ لجميع القرآن[67].

وأما ما رواه أبو ظبيان ومجاهد وزر عن ابن عباس من أن قراءة ابن مسعود هي القراءة الأخيرة فنورد عليه بعض الإشكالات:

أولها: إن هذه الرواية تعارض المشهور الذي يقول بأن: قراءتنا التي جمع عليها عثمان الناس هي القراءة الأخيرة. ولعل حضور ابن مسعود الذي صرح به ابن عباس رضي الله عنهما للعرضة الأخيرة لم يكن كاملا وإنما حكى ذلك من باب التغليب من حرف ابن مسعود غير منسوخ التلاوة، فالمحفوظ عن ابن مسعود أنه أخذ بضعا وسبعين سورة لا غير.

ثانيها: كيف تكون قراءة ابن مسعود الأخيرة، وأبو بكر جمع القرآن، ثم من بعده عثمان نسخ المصاحف وقد أمرا زيدا بذلك؟ فالقراءة قراءة زيد بن ثابت، وبحسب قول ابن عباس هذا تكون قراءتهما منسوخة، وهذا محال، فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.

ثالثها: انفرد ابن مسعود من جملة الصحابة رضي الله عنهم بمعارضة صنيع عثمان في المصاحف، وكان اعتراضه عليه ليس لعدم شهود زيد بن ثابت العرضة الأخيرة، وإنما كان يريد أن تكون قراءته المعول عليها دون غيرها لما له من المزية في ذلك، فقد أخذ من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، وإنه أعلم الصحابة بالقرآن كما صرح بذلك في غير ما موضع.

رابعها: لم نجد أحدا من تلاميذ ابن مسعود يقرأ بقراءة مخالفة لما عليه المصحف العثماني، كما في قراءات أهل الكوفة كما هو معلوم من قراءة: عاصم وحمزة والكسائي

ببعض، وجمعت بعضه إلى بعض. ينظر: لسان العرب: 10/9، مادة (ألف)، والرقاع: جمع رقعة: وهي القطعة من ورق أو جلد أو نحو ذلك. ينظر: لسان العرب: 131/8، مادة (رقع).

[67]- ينظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي، : 328/4.

وخلف البزار، وجلهم أخذ عن ابن مسعود قراءته[68].

خامسها: ورد عن ابن عباس وهو راوي هذه الرواية أنه قرأ على غير قراءة ابن مسعود، بل أخذ القرآن عن زيد بن ثابت وأبي بن كعب، كما ثبت ذلك عنه بالسند الصحيح المتصل. وأما راوي الخبر وهو مجاهد فقد أخذ القرآن عن ابن عباس عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعنه أخذ ابن كثير المكي بسنده عن عبد الله بن السائب[69].

وأما الأحاديث الأخرى وما أخرجه ابن الأنباري وما روي عن ابن سيرين فلم تثبت لدينا بسند صحيح، وأما حديث شقيق الذي في البخاري، فيدل على أن ابن مسعود من أعلم الصحابة في القرآن الكريم، ولم يقل أحد خلاف ذلك، إلا إنه لا يدل على انفراده بشهود العرضة الأخيرة، وأما الروايات التي غمز ابن مسعود بها زيدا فجلها لم تثبت بسند صحيح وهي معلولة ببعض الرواة[70]، وإن صح بعضها فإن ابن مسعود لم ينفِ حضور زيد بن ثابت العرضة الأخيرة، إلا إنه بدا غير راض باختيار زيد لنسخ المصاحف، مظنة تفضيله عليه.

والصواب الذي لا ريب فيه أن قراءتنا هي قراءة زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبي الدرداء وغيرهم رضي الله عنهم وأنها الأخيرة، ولا يضرنا قولهم: إن ما وصل إلينا من قراءة ابن مسعود قد شذذه القراء، لجملة اعتبارات من أبرزها رواية آحاد، ومخالفة خط المصحف، فقد شكك مكي بن أبي طالب بنقل هذه القراءة فقال: "ولا نقطع بصحته عن ابن مسعود؛ ولذلك قال مالك، والإمام إسماعيل القاضي: ما روي من قراءة ابن مسعود وغيره مما يخالف خط المصحف ليس لأحد من الناس أن يقرأ به اليوم؛ لأن الناس لا يعلمون علم يقين أنها قراءة ابن مسعود، وإنما هو شيء يرويه بعض من يحمل الحديث؛ ولا يجوز أن يعدل عن اليقين إلى ما

---

[68]- ينظر: التيسير في القراءات السبع، للداني، تحقيق: أوتوتريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1984م: ص9 – 10، والنشر: 188/1 وما بعدها.

[69]- ينظر: التيسير، للداني: ص8.

[70]- سبق تخريجها.

لا يعلم يقينه."[71].

وأقول: قد صحت بعض القراءات عن ابن مسعود سندا، فقد أورد البخاري بسنده: "عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله – يعني ابن مسعود–؟ قال: كلنا، قال: فأيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾[الليل: ١]؟ قال علقمة: والذكر والأنثى، قال: «أشهد أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا»، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ: ﴿**وَمَاخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ**﴾ [الليل: ٣]، والله لا أتابعهم"[72].

قال القاضي أبو بكر بن العربي معقبا على هذا الحديث:"هذا مما لا يلتفت إليه بشر، إنما المعول عليه ما في الصحف؛ فلا تجوز مخالفته لأحد، ثم بعد ذلك يقع النظر فيما يوافق خطه مما لم يثبت ضبطه؛ فإن القرآن لا يثبت بنقل الواحد، وإن كان عدلا؛ وإنما يثبت بالتواتر الذي يقع به العلم، وينقطع معه العذر وتقوم به الحجة على الخلق"[73].

ونقل القرطبي في تفسيره عن أبي بكر الأنباري بعد إيراده للحديث في قراءة "والذكر والأنثى"[74]، وحديث قراءة "إني أنا الرازق ذو القوة المتين" عن ابن مسعود[75].

قال أبو بكر الأنباري: كل من هذين الحديثين مردود، بخلاف الإجماع له، وإن حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين، والبناء على سندين يوافقان الإجماع أولى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة، وما يبنى على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة تخالفه، أخذ برواية الجماعة، وأبطل نقل الواحد، لما يجوز عليه من النسيان والإغفال. ولو صح الحديث عن أبي الدرداء وكان إسناده مقبولا معروفا، ثم كان

---

[71]– الإبانة عن معاني القراءات: ص99.

[72]– صحيح البخاري: 170/6 برقم (4944).

[73]– أحكام القرآن: 404/4 – 405.

[74]– سبق تخريجه.

[75]– إسناده صحيح، ولفظ الحديث: عن عبد الله بن مسعود، قال: " أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أنا الرزاق ذو القوة المتين". أخرجه أحمد بسنده عن إسرائيل – وهو ابن يونس بن أبي إسحاق –، مسند أحمد: 285/6 برقم (3741)، وأخرجه ابن حبان بسنده عن أبي يعلى عن روح بن عبد المؤمن المقريء – شيخ البخاري –، صحيح ابن حبان: 236/14 برقم (6329).

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم يخالفونه، لكان الحكم العمل بما روته الجماعة، ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد، الذي يسرع إليه من النسيان ما لا يسرع إلى الجماعة، وجميع أهل الملة"[76].

وقد أحسن الداني القول في هذه المسألة إذ قال: "إن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني، أو أنها لم تنقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة"[77]. فالقراءة التي خالفت الإجماع شذذت، قال أبو عمرو ابن العلاء: "إني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة"[78].

وذهب بعض العلماء إلى أن ما جاء مخالفا لخط المصحف بزيادة أو حذف فهو من قبيل التفسير، قال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني: "وكان منهم من يقرأ التأويل مع التنزيل، نحو قوله تعالى:﴿**وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾[البقرة: ٢٣٨] وهي صلاة العصر"[79].

وقول بعضهم إن ما ورد من قراءة ابن مسعود فهو من قبيل التفسير غير مُسلّم به؛ لأن المروي عنه منع إدخال التفسير مع القرآن، فقد روي عن ابن مسعود أنه قال: "جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه"[80].

وكانت قراءة ابن مسعود أشهر قراءة بعد قراءة العامة في الكوفة، إلا إن قراءة المدينة –قراءة زيد– بدأت تنتشر في الكوفة لا سيما بعد انتقال سيدنا علي رضي الله عنه إليها،

---

[76]– الجامع لأحكام القرآن: 82/20.

[77]– النشر: 14/1 – 15.

[78]– المرشد الوجيز، لأبي شامة، تح: طيار آل تيقولاج، دار صادر،بيروت، 1975م: ص181.

[79]– ينظر: الانتصار، للباقلاني، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح–عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 2001م: 153/1.

[80]– مصنف ابن أبي شيبة: 239/2 برقم (8547)، والمعجم الكبير: 353/9 برقم (9753)، ومجمع الزوائد، للهيثمي، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م: 158/7 برقم (11624)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير أبي الزعراء، وقد وثقه ابن حبان. وروى الداني هذا الأثر مسندا في المحكم، للداني، تح: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط2، 1407هـ، باب ذكر من كره نقط المصاحف من السلف: ص10. والنشر: 32/1.

ومع ذلك فقد بقي أصحاب ابن مسعود يقرأون بقراءته التي توافق خط المصحف حتى كان سعيد بن جبير (ت95هـ) يؤمّ الناس في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت[81]. لكن معالم قراءة ابن مسعود كانت في طريقها إلى الاضمحلال، فقد قال سليمان بن مهران الأعمش (ت 148 هـ): «أدركت الكوفة وما قراءة زيد فيهم إلا كقراءة عبد الله فيكم اليوم، ما يقرأها إلا الرجل والرجلان»[82].

بقي أن نشير إلى **مسألة هامة** وهي: زعم ابن أبي داود أن ابن مسعود رجع عن معارضته لصنيع عثمان فترجم في كتابه قائلاً: "باب رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف"، وأورد رواية عن فلفلة الجعفي قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله- يعني ابن مسعود- في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: "إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد"[83].

والحق أن ليس في الرواية ما يظهر عدولا لابن مسعود عن قوله، بل يمكن أن يؤخذ منها تأكيد على رفض ما فعل عثمان، فقد ذكر في الإجابة عليهم: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف" إشارة منه إلى وجوب الأخذ بها جميعها لا اقتصارها على حرف واحد كما فهم من صنيع عثمان رضي الله عنه.

وذكر بعض المحدثين أن هذه الرواية لا تدل على رجوع ابن مسعود ورضاه لفعل

---

[81]- ينظر: معرفة القراء، للذهبي، دار الكتب العلمية،ط1، 1997م: ص38، وغاية النهاية، لابن الجزري: 305/1.

[82]- كتاب السبعة، لابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف–مصر، ط2، 1400هـ: ص67. وينظر: محاضرات في علوم القرآن، لأستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار،عمان – الأردن،ط1، 2003م: ص123.

[83]- المصاحف، لابن أبي داود، تح: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر - القاهرة، ط1، 2002م: ص81 – 82. ورواه أحمد في مسنده: 190/4 برقم (4252). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ومجمع الزوائد، للهيثمي: 152/7 برقم (11581)، وقال: رواه أحمد، وفيه عثمان بن حسان العامري وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه، ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات.

عثمان، وأكد هذا القول ابن حجر فقال عن زعم ابن أبي داود: **"لكن لم يورد ما يصرح بمطابقة ما ترجم به"**[84].

وقال الحافظ الذهبي: إنما شق على ابن مسعود، لكون عثمان ما قدمه على كتابة المصحف، وقدم في ذلك من يصلح أن يكون ولده، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة، ولأن زيدا كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إمام في الرسم، وأما ابن مسعود فإمام في الأداء، ثم قال الذهبي: **وقد ورد أن ابن مسعود رَضيَ وتابعَ عثمان ولله الحمد** [85].

أشار الذهبي هنا إلى ما أورده ابن أبي داود في المصاحف من رجوع ابن مسعود عن قوله ورضاه بما فعل عثمان رضي الله عنه. وتابع الذهبي كلامه عن مصحف ابن مسعود قائلا: "وفي مصحف ابن مسعود أشياء أظنها نسخت، وأما زيد فكان أحدث القوم بالعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم عام توفي على جبريل"[86].

ومما تقدم أقول: ثبت لنا وبعد التأمل في أقوال العلماء، أن ابن مسعود رجع عن معارضته لمصحف عثمان، وإن لم نقف على دليل مسند في ذلك غير ما أورده ابن أبي دواد في كتابه المصاحف، وقد توبع عليه، ولكنا نستنبط ذلك بدليل آخر وهو ما وصل إلينا بالتواتر والسند المتصل من عدم وجود خلاف رسمي بين قراءة ابن مسعود وزيد بن ثابت، فقد تلقينا القرآن الكريم بالسند المتصل عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها قراءة مخالفة لخط المصحف العثماني[87].

المطلب الثاني: الروايات الواردة في زيد بن ثابت:

1- قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وكانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن

---

[84]- فتح الباري: 49/9.

[85]- ينظر: سير أعلام النبلاء: 488/1.

[86]- المصدر نفسه: 488/1.

[87]- ينظر في أسانيد القراءات كتاب التيسير في القراءات السبع، للداني: ص7-8-9.

ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، وهي قراءة العامة التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاَّه عثمان كتب المصاحف رضي الله عنهم أجمعين[88].

2- أخرج البزار بسنده عن الحسن عن سمرة قال: عرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عرضات، قال حماد بن سلمة: فيرون — قال: فلا أدري في هذا الحديث، أو غيره- أن قراءتنا هي العرضة الآخرة.[89] ففي هذه الرواية يشير سمرة إلى أن

---

[88]- ينظر: شرح السنة، للبغوي، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق — بيروت،ط2، 1983م: 525/4، والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة: ص69،والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1957م: 237/1. والإتقان، للسيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م: 140/1.

[89]-ينظر: مسند البزار: 416/10، ومسند الروياني، تح: أيمن علي أبويماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1، 1416هـ: 257/1 برقم (825) قال حماد في هذا الحديث أو في غيره: فنرى أن قراءتنا هي الأخيرة، قال عبيد الله بن الحجاج: كتب هذا الحديث عني علي بن المديني، وعباس بن عبد العظيم، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه: 250/2 برقم (2904)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: إسناده حسن: 44/9، ومما تقدم يظهر لنا أن مدار الحديث الحجاج بن المنهال رواه عنه: علي البغويّ عند الحاكم (2904). ومحمد بن المثنى عند البزار (4564)، فهو فردٌ مطلقٌ من لدن سمرة بن جندب، نزولاً إلى حجاج بن منهال. وفي إسناد هذا الحديث ثلاث علل:

الأولى: سماع الحسن من سمرة. ولن نناقش مسألة السماع العام، فالحقّ أن الحسن لم يسمع من سمرة سوى حديث العقيقة. وليس في هذا الحديث تصريح بسماعه الحديثَ من سمرة.

والثانية: تدليس قتادة، فقتادة لم يصرح بسماعه من الحسن وهو مدلس.

والثالثة: تفردّ حجاج بن منهال برواية هذا الحديث عن حمّاد بن سلمة، عن قتادة. وهذا إسنادٌ غريب؛وقد أعله البزار فقال: "وهذا الحديث لا نعلم رواه عن حماد عن قتادة إلا الحجاج بن المنهال، ولا نعلمه يروى عن سمرة إلا من هذا الوجه" يريد أن يقول: أين أصحاب حماد بن سلمة الكبار عن مثل هذه الرواية الفذّة والضرورية، لو كانت مما حفظ حمّاد؟ وبناء على هذا؛ فإنّ هذه الحديث من أوهام حجاج بن منهال وغرائبه، إن سلم الحديث من تدليس قتادة والحسن.

قراءة العامة هي قراءة زيد التي أثبتت في مصحف عثمان رضي الله عنه على العرضة الأخيرة.

3- أخرج ابن الأنباري، وابن أشتة في المصاحف عن ابن سيرين قال: "كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة في شهر رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة"[90]. وفي هذه الرواية إشارة إلى أن قراءة العامة التي كتبها زيد في عهد عثمان كتبت على العرضة الأخيرة.

4- أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وَابن الأنباري والبيهقي في الدلائل عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم[91]. دل قول عبيدة السلماني على أن قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه هي التي جمع عثمان الناس عليها على العرضة الأخيرة ويقرؤها العامة في وقته.

5- وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "قراءتي قراءة زيد وأنا آخذ ببضعة عشر حرفا من قراءة ابن مسعود، هذا أحدها: (من

ونزيد عليه علة أخرى في المتن وهي نكارة لفظ "ثلاث" فهي خلاف المحفوظ الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يعرض القرآن كل عام في شهر رمضان وفي عام وفاته عرضه مرتين. ولعل الحافظ ابن حجر اغتر بتحسين الحاكم لهذا الحديث، فلفظة "ثلاث" سقطت من الحاكم وعلى هذا تزول النكارة في المتن، ولكن تبقى علل أخرى وهي التفرد من الحجاج بن منهال. والله أعلم.

90– الحديث مرسل ضعيف، وعلته الإرسال. سبق تخريجه.

91– حديث مرسل، لأن عبيدة تابعي، بالإضافة إلى تفرد ابن جريج به معنعنا عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني مع أن معناه صحيح، ينظر: مصنف ابن أبي شيبة: 560/10، كتاب فضائل القرآن، باب في درس القرآن وعرضه برقم (30922)، ودلائل النبوة، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ: 155/7. فقد رواه البيهقي بسنده عن ابن جدعان عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني. وعلي بن زيد بن جدعان: كان شيخا جليلا يهم في الأخبار، ويخطئ في الآثار، حتى كثر ذلك في أخباره، وتبين فيها المناكير التي يرويها عن المشاهير، فاستحق ترك الاحتجاج به قال ابن سعد: كان كثير الحديث وفيه ضعف ولا يحتج به، وكان ابن عيينة يضعفه. الطبقات الكبرى: 187/7، الضعفاء الكبير، للعقيلي: 229/3، المجروحين، لابن حبان: 103/2 – 104.

بقلها وقثائها وثومها وعدسها وبصلها)[92].

دلالة الروايات والأثار:

دلت هذه الأثار والروايات على شهود زيد بن ثابت العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، وإن كان أكثرها ضعيف، ولكن معناها صحيح، فقد توالت الأخبار والأقوال تترى على أن مصحف عثمان رضي الله عنه كتب على العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل في العام الذي قبض فيه مرتين، ووصل المصحف العثماني إليها بحرف زيد بن ثابت بإجماع الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وإن قراءة العامة هي قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وقد تمسك أئمة القراءة بما روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنَّما سُمّيت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرسول الله، وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بِها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولَّاه عثمان كتابة المصاحف.

وقد بحثنا عن سند هذه الرواية عن أبي عبد الرحمن السلمي فلم نقف عليها مسندة، وإن كان معناها صحيح؛ بما روي في الآثار السالفة. وقد أوردها البغوي وابن أبي شامة وابن تيمية والزركشي والسيوطي وكثير من العلماء.

كما دل ذلك أيضا في حديث سمرة عندما قال: عُرض القرآنُ على رَسُول اللهِ ثلاث عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه العرضة الأخيرة. وهي القراءة التي كتبها زيد بن ثابت بأمر عثمان رضي الله عنه وإجماع الصحابة.

وتتبعت هذا الحديث بهذا اللفظ "ثلاث عرضات" فوجدت أن السيوطي نقله

---

[92]- الدر المنثور: 177/1، 534/8. وأورد الطبري هذه القراءة ولم يسندها وقال: "وذُكر أن ذلك قراءة عبد الله ابن مسعود، ثم قال: فإن كان ذلك صحيحا فإنه من الحروف المبدلة"، جامع البيان، للطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م: 130/2، وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف بسنده عن هارون قال: حدثنا صاحب لنا، عن أبي رَوْق، عن إبراهيم التيمي، عن ابن عباس قال: قراءتي قراءة زيد، وأنا آخذ ببضعة عشر حرفا من قراءة ابن مسعود، هذا أحدها: من بقلها وقثائها وثومها وعدسها وبصلها. وهذا أثر ضعيف؛ لأن فيه راو لم يسم. ينظر: المصاحف: ص168.

ونسبه للحاكم[93]؛ لكنا بالرجوع إلى مستدرك الحاكم نجد الرواية عامة في العرضات بدون تحديد "ثلاث"، ولعلها صحفت أو سقطت خطأ من المستدرك، فقد روى البزار والروياني ومن جاء بعدهما[94] هذه الرواية محددة بعرضات "ثلاث"، ويكون تفسير الرواية: أنهم عدوا عرضات القرآن ثلاثا بحساب: أن الأولى قبل وفاته بعام، والثانية والثالثة هما العرضتين في عام وفاته، وهذا مردود بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان يعرض القرآن في كل عام مرة وفي العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم عرضه مرتين، ولا شك أن القرآن كان يعرض منذ نزوله في شهر رمضان قبل الهجرة وبعدها – والله تعالى أعلم-.

ودل ذلك فيما روي عن عبيدة السلماني أنه قال: القراءة التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم. يعني بذلك قراءة زيد بن ثابت.

وذكر ابن الجزري وابن عبد البر والشاطبي وابن تيمية وغيرهم من أئمة المسلمين: أن حرف زيد بن ثابت هو الذي سمعه في العرضة الأخيرة، وأجمع عليه الصحابة.

قال ابن الجزري: "ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل – عليه السلام – متضمنة لها لم تترك حرفا منها. ثم عقب على هذا القول قائلا: "وهذا القول هو الذي يظهر صوابه ؛ لأنَّ الأحاديث الصحيحة، والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له"[95].

وقال ابن عبد البر: "وأما حرف زيد بن ثابت فهو الذي عليه الناس اليوم في المصاحف وقراءتهم من بين سائر الحروف؛ لأنَّ عثمان جمع المصاحف عليه بمحضر جمهور

---

[93]- ينظر: الدر المنثور: 551/1 – 552.

[94]- مجمع الزوائد، للهيثمي: 151/7 برقم (11575).

[95]- ينظر: النشر في القراءات العشر: 31/1.

الصحابة"[96].

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى القول بأن: "العرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف أُمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أَمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره"[97].

قال الشاطبي عن نسخ زيد للمصاحف بأمر عثمان رضي الله عنه: "وهذا إجماع في كَتْبِهِ وجمع الناس على قراءة لا يحصل منها في الغالب اختلاف؛فلم يخالف في المسألة إلا عبد الله بن مسعود، فإنه امتنع من طرح ما عنده من القراءة المخالفة لمصاحف عثمان[98]، وقال: يا أهل العراق، ويا أهل الكوفة اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها؛ فإن الله يقول:﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١]، فالقوا الله بالمصاحف"[99]. قال الشاطبي: "فتأمل كلامه فإنه لم يخالف في جمعه، وإنما خالف أمرا آخر، ومع ذلك فقد قال ابن شهاب الزهري: "بلغني أنه كَرِه ذلك من قول ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[100].

وقال الشيخ أحمد شاكر: وكان هذا من ابن مسعود حين أمر عثمان رضي الله عنه

---

[96]- لتمهيد: لابن عبد البر، تح: مصطفى بن أحمد العلوي, محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ: 299/8.

[97]- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995م: 395/13.

[98]- الاعتصام، للشاطبي، تح:مجموعة من المحققين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1،1429 هـ - 2008 م: 115/3.

[99]- سنن الترمذي: 135/5 برقم (3104). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، وهو حديث الزهري ولا نعرفه إلا من حديثه". وصححه الألباني. ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، والكتاب مرقم آليا: 104/7برقم (3104).

[100]- الاعتصام: 115/3، وسبق تخريجه في سنن الترمذي: 284/5 برقم (3104).

بجمع الناس على المصحف الإمام خشية اختلافهم، فغضب ابن مسعود، وهذا رأيه، ولكنه رحمه الله أخطأ خطأ شديدا في تأويل الآية على ما أوّل، فإن الغلول هو الخيانة، والآية واضحة المعنى في الوعيد لمن خان أو اختلس من المغانم[101].

قال القسطلاني: "وروي إن قراءة زيد هي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام مرتين في العام الذي قبض فيه"[102].

فيظهر لنا من هذه الأقوال بأنَّ زيد بن ثابت أحد أبرز كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر العرضة الأخيرة من القرآن, وكان يقرئ الناس بها حتى مات, وجمع القرآن على ما سمعه في العرضة الأخيرة, فجمع القرآن على حرف، لكن جاء خطه محتملًا لأكثر من حرف, قال مكي بن أبي طالب: "فالمصحف كتب على حرف واحد وخطه محتمل لأكثر من حرف؛ إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً, فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية"[103].

ثم إن اختيار زيد بن ثابت من قبل أبي بكر الصديق لجمع القرآن الكريم، في مهمة من أعظم المهام التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، يعد من أقوى الأدلة على شهوده العرضة الأخيرة، وروايات هذا الجمع ثابتة في الصحيح، وقد علل أبو بكر رضي الله عنه اختيار زيد بقوله: "إنك رجل شاب عاقل، لا أتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن واجمعه"[104].

وأما أسباب اختيار عثمان لزيد في نسخ المصاحف فقد جاء عن مصعب بن سعد قال: إنَّ عثمان قال: مَنْ أكتَبُ الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال عثمان: فليمْل سعيد، وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس فسمعت بعض أصحاب محمد يقول:

---

[101]-ينظر: تعليقه على مسند أحمد: 43/7 برقم (3929).

[102]- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: 272/5.

[103]- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب: ص34.

[104]- صحيح البخاري: 71/6، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} «من الرأفة» برقم (4679).

قد أحسن"[105].

فهذا الأثر وغيره يشير إلى وجود ما يُميِّز زيداً على متقدمي قراء الصحابة، أمثال أُبيّ بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وسالم مولى حذيفة، وعلى ابن مسعود خصوصاً، الذي اعترض لاحقاً على عدم إشراكه في جمع القرآن في عهد عثمان.

والنص يشير إلى أن صغر سن زيد هو من أسباب اختياره لهذه المهمة، كما أنه كان أبرز كتاب الوحي، وكان أمهر الناس بالكتابة. واختار عثمان إضافة لزيد الأنصاري، ثلاثة من شبان قريش: عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان سعيد أفصحهم وأقربهم لهجة للهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فزيد الذي تولى كتابة المصحف أيام أبي بكر، هو الذي تولاه أيام عثمان. ففي كلا الحالتين سيكتب في المصحف ما ثبت في هذه العرضة الأخيرة. وسيثبت نفس ترتيب السور. لكن لو حدث خلاف حول كتابة الكلمات على أي لهجة، فقد أمر عثمان أن يكون ذلك على لهجة قريش وليس على لهجة الأنصار.

وهذا ثابت بما روى البخاري عن أنس: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال لعثمان: "أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى". فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم". ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف

[105]– المصاحف، لابن أبي داود: ص100. قال ابن كثير: إسناده صحيح. فضائل القرآن: ص83، وأورده ابن حجر عن ابن أبي داود في الفتح وسكت عنه. ينظر: فتح الباري: 19/9.

أن يحرق»[106].

ويمكن أن نجمل تقديم زيد على غيره من الصحابة بما يأتي:

الأول: مكوث زيد بن ثابت في المدينة، وتفرق كثير من الصحابة في الأمصار، ومنهم ابن مسعود، فقد سكن الكوفة.

الثاني: اقتداء عثمان رضي الله عنه بأبي بكر في اختيار زيد بن ثابت لجمع القرآن الكريم.

الثالث: أنه شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم وهذا مستنبط من اختياره لنسخ المصاحف وما صرح به جمهور من القراء والمحققين.

الرابع: أنه وعى القرآن كاملا عن ظهر غيب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بخلاف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره. وفي ذلك أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: "جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة، كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت"[107].

الخامس: امتاز زيد بن ثابت رضي الله عنه بكتابة الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملازمته له، وبعلمه في الخط، وقد ألمح أبو بكر لذلك عند اختياره لزيد لجمع القرآن. وفي ذلك يقول ابن عبد البر: " وكان أُبي بن كعب ممن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضًا، وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي، وكان يكتب كثيرًا من الرسائل"[108].

السادس: خص أبو بكر زيداً بجمع القرآن في السعف والجريد، ولم يخالفه فيه أحد من الصحابة، ثم خصه عمر بجمعه في الصحيفة، ولم يخالفه أحد من الصحابة، ثم خصه عثمان بجمع المصحف مع غيره، ولم يخالفه فيه أحد من الصحابة إلا ابن مسعود، وهذا كله يدل على فضل ظاهر، بارع، وثقة وأمانة في زيد، ويقوي ذلك تخصيص رسول الله صلى

---

[106]- صحيح البخاري: 183/6، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن برقم (4987).

[107]- صحيح البخاري: 37/5 برقم (3810)، وصحيح مسلم: 1914/4 برقم (2465).

[108]- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تح: عليم حمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م: 68/1.

الله عليه وسلم بكتابة الوحي؛ ولذلك خصه أصحابه بجمع القرآن، مع أنه كان قد جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأه على النبي كأُبي ابن كعب؛ ولذلك أضاف أكثر القراء القراءة إليهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أعني أبيًّا وزيدًا[109].

وذكر ابن العربي المالكي في مسألة إنكار ابن مسعود على زيد بن ثابت في توليته أمر نسخ المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه، رواية جاء فيها: "وعند قول ابن مسعود ما قال وبلغ عثمان: قال عثمان: "من يعذرني من ابن مسعود، يدعو الناس إلى الخلاف والشبهة، ويغضب علي إن لم أوله نسخ القرآن، وقدمت زيداً عليه، فهلا غضب على أبي بكر وعمر حين قدما زيداً لكتابته وتركاه، إنما اتبعت أنا أمرهما"[110]، فما بقي أحد من الصحابة إلا حَسَّن قول عثمان وعاب ابن مسعود. – قال ابن العربي –: "وهذا بيّن جدا، وقد أبى الله أن يبقي لابن مسعود في ذلك أثرا، على أنه قد روي عنه أنه رجع عن ذلك وراجع أصحابه في الاتباع لمصحف عثمان والقراءة به"[111].

المبحث الثالث: أقوال العلماء فيمن شهد العرضة الأخيرة والحرف المختار

المطلب الأول: أقوال العلماء فيمن شهد العرضة الأخيرة:

لا شك إن موضوع العرضة الأخيرة ومن شهدها من الصحابة، قد نال اهتماما بالغا من قبل العلماء المحققين، لأنه كان موضع جدل ونقاش، لوجود بعض المرويات والأثار المشكلة التي تظهر تعارضا بينا، وقد أوردنا هذه الروايات فيما سبق من المباحث، وهنا سنذكر أقوال العلماء فيمن شهد العرضة الأخير من الصحابة رضي الله عنهم وكما يأتي:

1- قال الداني: وأما أبو عبد الرحمن السلمي: فقد تصدّر لإقراء الناس وتعليمهم،

---

[109]– الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب: ص100.

110– ذكر هذا الخبر الذهبي في سير أعلام النبلاء بقوله: قال الواقدي: حدثنا الضحاك بن عثمان، عن الزهري، قال: قال ثعلبة بن أبي مالك...الحديث. وردَّ الخبر الشيخ شعيب الأرناؤوط وقال: الواقدي متروك، فالخبر لا يصح. وذكره الذهبي في معرفة القراء الكبار عن محمد بن سعد: ينظر: سير أعلام النبلاء: 435/2، ومعرفة القراء الكبار: ص18.

[111]– أحكام القرآن، لابن العربي المالكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م: 612/2.

في الجامع الأعظم بالكوفة، بعد موت عبد الله بن مسعود، فلم يزل يقرئ القرآن أربعين سنة- فيما ذكره أبو إسحاق السّبيعي[112]- إلى أن توفي. وأبو عبد الرحمن أوّل من أقرأ الناس بالكوفة بقراءة زيد، وهي التي جمع عثمان رحمه الله تعالى الناس عليها، واتفق عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[113].

2- وأورد الداني في كتابه جامع البيان عن أبي عبد الرحمن السلمي: "أنه قرأ على عثمان بن عفّان رضي الله عنه عامّة القرآن. وكان يسأله عن القرآن، وكان وليّ الأمر فيشقّ عليه، ويقول: إنك تشغلني عن بعض أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت، فإنه يجلس للناس، ويتفرّغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن، قال: وكنت ألقى عليا، فأسأله، فيخبرني، ويقول: عليك بزيد. فأقبلت على زيد، فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة مرة."[114].

3- قال أبو بكر الباقلاني: إن الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا على أن ما جاء في العرضة الأخيرة هي قراءة عثمان رضي الله عنه وقال: "فكأنّهم يرون أنّ العرضة الأخيرة في قراءة ابن عفان"[115].

4- قال البغوي: "إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي" وكتبها لرسول اللّه وقرأها عليه وكان يقرئ الناس بها حتى مات.[116] وهذا يفيد أنّ النبي كان يستعرض القرآن جميعه في رمضان وإنه استعرضه مرتين في رمضان الأخير وإن المصحف الذي كتبه زيد في عهد أبي بكر إنما كان وفاقا لذلك نصّا وترتيبا[117].

---

[112]- عمرو بن عبد الله بن عبيد، أبو إسحاق السبيعي، بفتح السين وكسر الباء، كوفي تابعي ثقة، واختلف في سنة وفاته ورجح الذهبي أنه مات سنة (127هـ)، تهذيب الكمال 22/ 103، وسير أعلام النبلاء: 400/5.

[113]- جامع البيان في القراءات السبع، الداني، تح: جامعة الشارقة – الإمارات،ط1، 2007 م: 255/1.

[114]- جامع البيان في القراءات السبع، للداني: 251/1. وقال الذهبي بعدما أورد الرواية: قلت: ليس إسنادها بالقائم، ينظر: سير أعلام النبلاء: 270/4 - 271.

[115]- الانتصار للقرآن: 362/1.

[116]- شرح السنة، للبغوي: 525/4.

[117]- التفسير الحديث، دروزة، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، 1383هـ: 82/1.

5- قال في مقدمة كتاب المباني: "وقد أخبرناك أن أبا بكر رضي الله عنه، إنما فوض ذلك الأمر إليه – يقصد زيد بن ثابت- ؛ لأنه كان شابا حافظا وعى القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا اختلاف بين الناس فيه، وحفظ القرآن على العرضة الأخيرة، وهي آخر مرة عارض فيها جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم. والعمل على آخر عرضة. فكان الذي حفظه زيد هو الذي العمل عليه، ولأنه يلي كتابة الوحي، ويرى إملاء الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك عليه. فكان يشاهد من أحوال القرآن ما لا يشاهده غيره، مع أن الكتابة باب من العلوم جليل الخطر دون سائر العلوم والأثر. ولم يكن ابن مسعود رضي الله عنه فيها مثله، ولأنه رضي الله عنه كان جمع القرآن كله دون ابن مسعود"[118].

6- قال الخازن: "ويقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام، وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي فيها ما بقي. ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف، وألزمه بها؛ لأنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه في الأمة رحمة من اللّه تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى: ﴿**إِنَّانَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩][119].

7- قال الهروي: قال الطيبي: وقد روي أن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه"[120].

8- قال دروزة في تفسيره: "إنّ أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لما رأوا أن الناس يختلفون في قراءة الكلمات أجمعوا على كتابتها على ما جاء في المصحف العثماني

---

[118]- مقدمة كتاب المباني، لحامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام، توفي في القرن الخامس الهجري، على الصحيح تحقيق: آرثر جفري، مكتبة الخانجي، 1954م: ص25. حققت هذه المقدمة على أن مؤلفها مجهول، إلا إن أستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد قد صحح نسبت المقدمة لابن بسطام. ينظر: الشبكة العنكبوتية – ملتقى أهل التفسير، مقال د. غانم قدوري الحمد.

[119]- تفسير الخازن، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ: 9/1.

[120]- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 1448/4.

وعلى ما تحققوا أنه القرآن المستقر في العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك"[121].

ومما تقدم من أقوال العلماء يظهر لنا أن المصحف العثماني كتب على العرضة الأخيرة للقرآن وأن زيداً من كتبه على حرفه المتضمن لبعض الأحرف السبعة.

وأما من يقول إنّ الروايات والأثار التي تثبت شهود ابن مسعود في مقابلها روايات وآثار تثبت شهود زيد بن ثابت؛ لذا نجد تعارضا ظاهرا في هذه المرويات، وقد أجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح ووفق بين الأثار الواردة عن ابن عباس والتي تثبت أن العرضة الأخيرة شهدها عبد الله بن مسعود، والأثار التي تثبت شهود زيد بن ثابت وجمع بينها بقوله: "ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون العرضتان الأخيرتان وقعتا بالحرفين المذكورين، فيصح إطلاق الآخرية على كل منهما"[122].

وهناك قول ضعيف أوردناه هنا بغية التنبه له، وهو عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على أبي بن كعب في العام الذي قبض فيه مرتين، فقد عنون أبو الفضل الرازي في كتابه فضائل القرآن بابا لذلك ولم يقطع بصحته وأورده بشرط صحته فقال: **"باب فيما روي من عرض رسول الله القرآن على أُبي –رحمة الله عليه– كل سنة إن صح الحديث"**، فقال: أخبرنا ابن فناكي[123]، أخبرنا الروياني، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا حمدان بن المغيرة الهمذاني، أخبرنا القاسم بن الحكم، أخبرنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة: عن أبي بن كعب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليه القرآن في السنة التي مات فيها مرتين، وقال: (إن جبريل أمرني أن أقرأ عليك، وهو يقرئك السلام، وذكر الحديث بطوله)[124].

---

[121]– التفسير الحديث، دروزة: 515/1.

[122]– فتح الباري شرح صحيح البخاري: 44/9– 45.

[123]– هو أبو القاسم جعفر بن عبد الله بن فناكي الرازي، (ت 383 هـ). سير أعلام النبلاء: 47/20.

[124]– فضائل القرآن وتلاوته، للرازي، تح وتخريج: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1994م:ص55، والحديث موضوع، ينظر: تفسير البغوي: 12/1، وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للزيلعي، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، ط1414هـ: 345/4، وكنز العمال: 266/13 برقم (36779). وتلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي، للذهبي، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1998م: 65/1

وأما الحديث الصحيح الذي يثبت تلقي أُبي بن كعب بعض القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾ [البينة: ١] قال: وسماني؟ قال: «نعم» فبكى[125].

المطلب الثاني: الحرف المختار فيما عليه مصاحف الأمصار[126]:

إن الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان لما نسخوا المصاحف خصوا بعضها برسم يحتمل قراءة ووجها من وجوه القراءات المتواترة وبعضها الآخر برسم ووجه مختلف عن القراءة الأخرى، فلم يكتبوا الوجهين أو الرسمين في مصحف واحد؛ ولذا نجد علماء القراءات يتحدثون عن القراءات ويقولون: هذا ما عليه مصاحف الكوفة، وهذا ما عليه مصاحف الشام، وهذا ما عليه مصاحف المدينة [127]، وبناء على طريقة الرسم العثماني هذه فإنا نقطع بأن كتبة المصاحف راعوا وجوه القراءات التي أثبتت في العرضة الأخيرة، ولو كتبت المصاحف على وجه واحد لما اختلفوا في رسم بعض الكلمات.

قال الحافظ ابن حجر: اختلف في العرضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف

برقم (139). واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دارا لكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م: 207/1.

[125]- صحيح البخاري: 175/6 برقم (4959)، وصحيح مسلم: 550/1 برقم (799).

[126]- سنتحدث في هذا المبحث عن الحرف المختار وهو حرف زيد وهو ما رجحناه، والذي كتب عليه المصحف العثماني، ولن نفصل في موضوع الأحرف السبعة ومشكلها فموضوعنا العرضة الأخيرة وما له صلة مباشرة بها أما الأحرف السبعة فمحلها غير هذا الموضع.

[127]- وقد أورد الداني في المقنع والنشر، وأبو داود في مختصر التبيين: أمثلة على ذلك منها: ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾:**٣٥**، كتبوه في مصاحف أهل الحرمين، والشام، والبصرة بالهاء، وبذلك قرأنا لهم - أي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو البصري، وابن عامر، وحفص، وأبي جعفر، ويعقوب- وكتبوا في مصاحف الكوفة: "وما عملت" بالتاء، من غير هاء، وبذلك قرأنا لهم — أي قراءة أبي بكر شعبة عن عاصم، وحمزة والكسائي وخلف-. ينظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للداني، تح: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ص110، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح، تحقيق: د.أحمد شرشال، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2002م: 1025/4، والنشر: 353/2.

المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها؟ وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان جميع الناس أو غيره؟

قال الداني: "وإنا لا ندري حقيقة أي هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض أو آخر العرض كان ببعضها دون جميعها"[128].

والذي يظهر من كلام الداني فيما بعد أنه ذكر قراءة العامة –أي المثبتة في مصحف عثمان– وهي شاملة للأحرف السبعة فقال: "وإن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطتها الأمة على اختلافها عنه وتلقتها منه ولم يكن شيء منها مشكوكا فيه ولا مرتابا به"[129].

وذهب أبو إسحاق الشاطبي إلى أن المصحف جمع في زمن أبي بكر على الأحرف السبعة فقال في منظومته:

فَقَامَ فِيهِ بِعَونِ اللهِ يَجْمَعُهُ ... بِالنُّصحِ والجِدِّ والحَزْمِ الذي بَهَرا

مِنْ كُلِّ أَوجُهِهِ حَتَّى اسْتَتَمَّ لَهُ ... بِالأَحرفِ السَّبْعَةِ العُلْيَا كَمَا اشْتَهَرَا[130]

وذكر النووي عن بعض أهل العلم: "أنه لا يُدرى أي القراءات كانت العرضة الأخيرة"[131].

قال ابن الجزري: "كتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم كما صرح به غير واحد من أئمة السلف: كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل"[132].

وذكر مكي بن أبي طالب في الإبانة اختلاف العلماء في الحرف الذي كُتب عليه

---

[128]– الأحرف السبعة للقرآن: للداني، تح: عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة، ط1، 1408هـ: ص60.

[129]– المصدر نفسه: ص60.

[130]– منظومة عقيلة أتراب القصائد: ص3.

[131]– وشرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ: 100/6.

[132]– النشر: 8/1.

مصحف الإمام أهو حرف زيد أم حرف أُبي؟ ولم يذكر ابن مسعود، فقال: واختلف في الحرف الذي كتب عليه المصحف، فقيل: حرف زيد بن ثابت، وقيل: حرف أبي بن كعب؛ لأنه على العرضة الآخرة، التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورجح مكي حرف زيد بقوله: "وعلى الحرف الأول أكثر الرواة، ومعنى حرف زيد أي قراءته وطريقته"[133].

ورجح ابن أبي الرضا الحموي حرف أُبي وعلل ذلك بشهوده العرضة الأخيرة، فقال: "كتب الإمام على حرف أُبي في الأصح؛ لأنه على العرضة الأخيرة. وقيل على حرف زيد بن ثابت[134].

وقول الحموي مردود؛ لأن مسالة شهود عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت للعرضة الأخيرة قد وردت الأثار والأخبار بهما، ثم إن مصحف الإمام بالاتفاق كتبه زيد وفريقه من القرشيين، وهو قطعا كتب على العرضة الأخيرة، فيكون ترجيح الحموي لحرف أُبي على حرف زيد مردود بما مضى فليتأمل.

وقال البغوي في شرح السنة: "المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه وأذهب ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم"[135].

وأما ما روي من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أي القراءتين ترون كان آخر القراءة، قالوا: قراءة زيد بن ثابت، فقال: لا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل، فلما كان في السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين، وكانت قراءة ابن مسعود آخرهما، فهو يغاير حديث سمرة ومن وافقه، وعند مسدد في مسنده من طريق إبراهيم النخعي أن ابن عباس سمع رجلا يقول: الحرف الأول، فقال: ما

---

[133]- ينظر: الإبانة: ص95.

[134]- القواعد والإشارات في أصول القراءات، للحموي، تح: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط1، 1986م: ص41.

[135]- ينظر: شرح السنة: 511/4.

الحرف الأول؟ قال: إن عمر بعث ابن مسعود إلى الكوفة معلما فأخذوا بقراءته، فغير عثمان القراءة، فهم يدعون قراءة بن مسعود الحرف الأول، فقال ابن عباس: إنه لآخر حرف عرض به النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل[136].

وأما ما أخرجه النسائي من طريق أبي ظبيان قال: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ قلت القراءة الأولى قراءة بن أم عبد يعني عبد الله بن مسعود قال: بل هي الأخيرة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبريل الحديث وفي آخره "فحضر ذلك بن مسعود فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل"[137]، فهو يتعارض مع ما روي من آثار بشهود زيد بن ثابت وقد أورد ابن حجر هذه الأثار ووفق بينها كما تقدم[138].

وذهب المقريزي إلى أن لا خلاف بين قراءة عبد الله بن مسعود وقراءة زيد بن ثابت فقال: "وقراءة عبد الله هي قراءة زيد، لا نعلم بينهما خلافا أخل بمعنى ولا يفسده..."[139].

قال الشيخ عبد السلام مقبل: قرر ابن عباس أن الذي شهد العرضة الأخيرة هو ابن مسعود رضي الله عنه وهو ما صرح به آنفا مع أن ابن عباس إنما تتلمذ على زيد وأُبي في القراءة، وكان ابن عباس يجل زيداً ويعظمه، فليس يتجنى عندما يشهد لابن مسعود، والذي يثبت أن زيداً هو الذي شهد العرضة الأخيرة هم التابعون كأبي ظبيان ومجاهد وزرّ وجماعات... ويردهم ابن عباس، لكن بلفظ يثبت شهود العرضة الأخيرة لابن مسعود دون أن ينفي شهود زيد بن ثابت لها[140].

وتأول الشيخ عبد السلام نفي ابن عباس فقال: وقد يقال ها هنا: إن ابن عباس أراد نفي ما زعموه بشأن تغيب ابن مسعود عن العرضة الأخيرة لا إثبات تغيب زيد، وقد

136- والحديث مرسل ضعيف الإسناد، فمغيرة يدلس عن إبراهيم. وأورده ابن حجر وسكت عنه في الفتح: 44/9. وينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني، تح: جامعة الإمام محمد بن سعود، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط1، 1419هـ: 356/14 برقم (3484).

137- سبق تخريجه، أخرجه النسائي في الكبرى: 248/7 برقم (7940).

138- فتح الباري شرح صحيح البخاري: 44/9- 45.

139- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: 328/4.

140- إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم، عبد السلام مقبل مجبري، دار الإيمان، القاهرة: ص126.

يسوغ عند هذا أن أقول: بأن زيداً حضر هذه العرضة أيضا وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم، ويعضده أن زيداً هو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الملازم، وتقديم زيد أقوى لذلك، وهو الذي أجمع عليه الصحابة في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهم الأكابر، على أن بعض الوحي قد نزل بعد رمضان، والكاتب المتلقن الملازم يقدم على الكاتب المتلقن غير الملازم[141].

ويرى ابن حزم أن القراءة التي عليها المصاحف اليوم هي القراءة التي عارضها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل مرتين في العام الذي توفي فيه، ولم ير ابن حزم نسب هذه القرءاة لزيد وإنما نسبها للعامة ولعثمان رضي الله عنه ولم يذكر خلافا بين قراءة ابن مسعود وقراءة زيد، إنما هي القراءة التي ارتضاها الصحابة رضي الله عنهم بالإجماع فقال:

"إنَّ عاصما روى عن زر وقرأ عليه ولم يقرأ على زيد ولا على من قرأ على زيد شيئا إلا إنّه قد صح عنه أنه عرض على زيد فلم يخالف ابن مسعود"[142].

ونقل ابن الجزري إجماع الصحابة على أن المصحف كتب على العرضة الأخيرة فقال: "أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عام قبض"[143].

والذي يظهر لي أن الذي جمعه زيد في عهد عثمان هي قراءة العامة وقراءة العامة هي قراءة زيد وأبي بكر وعمر وغيرهم، كما ورد هذا المصطلح في غير ما موضع من صحيح البخاري كقوله: قراءة العامة ﴿**يُطِيقُونَهُ**﴾ [البقرة: ١٨٤][144].

وخلاصة القول: إنّ الحرف الذي عليه مصاحفنا اليوم كتب وفقا للعرضة الأخيرة

---

[141]- إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم: ص126.

[142]- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت: 115/6.

[143]- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م: ص23.

[144]- صحيح البخاري: 135/4، برقم (3341)، و25/6، كتاب التفسير، باب قوله: [أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا].

وهو حرف قريش الذي كتبه زيد بن ثابت رضي الله عنه،ولا ريب في حضور جمع من أئمة الصحابة في الإقراء لهذه العرضة وتلقيهم القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كله أو بعضه في أوقات مختلفة –والله تعالى أعلم–.

الخاتمة:

بعد هذا العرض للأحاديث والروايات والآثار الواردة في العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، ومن شهدها من الصحابة رضي الله عنهم؟ وعلى أي حرف استقرت المصاحف اليوم؟ نجمل أهم النتائج التي خلص إليها البحث وكما يأتي:

1- ثبت في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم عارض القرآن مع جبريل عليه السلام في كل عام مرة وفي العام الذي قبض فيه مرتين، وكانت العرضة الأخيرة عام وفاته صلى الله عليه وسلم.

2- ثبت وبأسانيد صحيحة وحسنة التصريح بشهود ابن مسعود العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، كما ثبت لنا أيضاً شهود زيد بن ثابت للعرضة الأخيرة عن طريق دلالة الأحاديث والآثار والمرويات وتحليلها.

3- تبين لنا أن سبب اختيار أبي بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت لجمع المصحف، هو كتابة زيد للوحي عند رسوله الله وملازمته له، وشهوده العرضة الأخيرة كما قال بذلك جمهور المحققين من القراء والمحدِّثين، ومِن ثَم اختاره عثمان رضي الله عنه لنسخ المصاحف وللأسباب نفسها.

4- ثبت لنا أنَّ غضب ابن مسعود على اختيار عثمان لزيد بن ثابت لنسخ المصاحف لم يكن لعدم شهود زيد بن ثابت العرضة الأخيرة؛ وإنما لتقديمه زيد على ابن مسعود وقد أخذ بضعا وسبعين سورة من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الصحابة بالقرآن.

5- ثبت لنا أن بعض الروايات الواردة عن شهود ابن مسعود وزيد بن ثابت للعرضة الأخيرة تظهر تعارضا ظاهرا، ولا شك أن إعمال الدليلين أولى من ترك أحدهما، ولذا بعد تحقيق المرويات والآثار الصحيحة، حاولنا التوفيق بين الأحاديث والآثار

المتعارضة، ونقلنا بعضا من أقوال العلماء المحققين، فنرى مثلا الحافظ ابن حجر قد جمع بين الأحاديث والآثار، ووفق بين الأقوال، وحل الإشكال، فقال بشهود ابن مسعود وزيد بن ثابت للعرضة الأخيرة.

6- ثبت لنا وبعد التأمل في أقوال العلماء، أن ابن مسعود رجع عن معارضته لمصحف عثمان، وإن لم نقف على دليل مسند في ذلك غير ما أورده ابن أبي دواد في كتابه المصاحف. وقد توبع عليه. ولكنا نستنبط ذلك بدليل آخر وهو ما وصل إلينا بالتواتر والسند المتصل من عدم وجود خلاف بين قراءة ابن مسعود وزيد بن ثابت، فقد تلقينا القرآن الكريم بالسند المتصل عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها قراءة مخالفة لخط المصحف العثماني.

7- وظهر لنا أيضا أن الحرف الذي استقرت عليه مصاحفنا اليوم هو حرف زيد بن ثابت، كما دلت الأحاديث والآثار الصحيحة على ذلك ووصلت إلينا بالتواتر أن عثمان رضي الله عنه أمر زيد بن ثابت وفريقه من القرشين بنسخ المصاحف، وأنه نسخها على العرضة الأخيرة، وعليه إجماع الأمة من السلف والخلف. هذا والله تعالى أعلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين